أثر علوم القرآن في توجيه المعاني
كتاب معاني القرآن للفراء دراسة انتقائية تحليلية

عفاف عطية الله ضيف الله المعبدي [1]

الملخّص

يهدف البحث إلى رصد ظاهرة توجيه المعنى وتعدده مع وحدة النظم، وأثر علوم القرآن في ذلك التوجيه والتعدد، من خلال كتاب معاني القرآن لأبي زكريا الفراء رحمه الله. والتأكيد على إعجاز القرآن اوتحديه المستمر من خلال اختلاف معانيه اختلاف تغاير لا اختلاف تضاد، وهو من الأهمية بمكان في معرفة دقائق اللغة وتبيان قوتها ورصانتها، حيث إن هذا يضفي على هذه اللغة جمالًا وروعة قلما توجد في لغات أخرى. واستخدمت الدراسة في سبيل ذلك المنهجين التحليلي والاستقرائي ،وخلص البحث إلى جملة من النتائج أهمها: أنّ العلاقة بين القرآن وعلوم اللغة علاقة وثيقة، تتجلى في الكثير من المظاهر، فقد عنيت كتب إعراب القرآن وتفسيره أيّما عناية بإعراب الكلمات والجُمل؛ إذ إنّها مرتبطة ارتباطًا وثيقا بالمعنى، كما أن لعلوم القرآن أثرا كبيرا في توضيح القرآن، واستجلاء معانيه، واستظهار المراد من خطاب الله سبحانه وتعالى، واستنباط الأحكام الشرعية خصوصًا، حيث يتوخى منها معرفة صيانة القرآن عن التحريف والتغيير، وما لذلك من الارتباط الوثيق بالتفسير.و قد أوصت الدراسة بالحرص والتشجيع على خوض غمار البحوث اللغوية التي تعنى بعلوم القرآن لربط علوم اللغة العربية بعلوم التفسير والقراءات القرآنية.

الكلمات المفتاحية: علوم القرآن – توجيه المعاني – أبو زكريا الفراء –معاني القرآن – العلوم اللغوية

[1] الأستاذ المشارك بقسم الدعوة في كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى. <aamoabadi@uqu.edu.sa>

The impact of the sciences of the Qur'an in directing meanings the meanings of the Quran for Elfuraa Analytical selective study

AFAF ATIYAHALLAH DHAIFALLAH ALMABADI

Abstract

The research aims to monitor the phenomenon of directing meaning and its diversity with the unity of systems, and the impact of the sciences of the Qur'an on that direction and pluralism, through the book Meanings of the Qur'an by Abu Zakaria Al-Farra, may God have mercy on him. Emphasizing the miraculousness of the Qur'an or its continuous defiance through different meanings, differences in variation , and not in contradictions, and it is of great importance in knowing the subtleties of the language and showing its strength and sobriety, as this gives this language a beauty and splendor that is rarely found in other languages. The study used the analytical and inductive approaches, and the research concluded with a number of results, the most important of which are: The relationship between the Qur'an and language sciences is a close relationship, which is manifested in many aspects. As it is closely related to the meaning, and the sciences of the Qur'an have a great impact in clarifying the Qur'an, clarifying its meanings, memorizing what is meant by the speech of God Almighty, and deducing legal rulings in particular, as it leads to the protection of the Quran from distortion and change, because of the close connection with interpretation. The study recommended keenness and encouragement to engage in linguistic research that deals with the sciences of the Qur'an to link the sciences of Arabic language with the sciences of interpretation and Qur'anic readings.

Key words: Science of the Qur'an - Instructing meanings - Abu Zakaria al-Fur - Qur'an meanings - Linguistic Sciences.

المقدمة:

إن الحمد لله نحمده سبحانه ونستعين به ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلن تجد له وليًا مرشدا، وبعد:

فلقد تعددت الطرائق، واختلفت السبل في الوصول إلى فهم الأحكام التي جاءت بها شريعة الإسلام، إلا أن جميع تلك الطرائق تعود في تفصيلها وبيانها إلى اللغة التي نزل بها كتاب الله، ووردت بها سنة رسوله عليه الصلاة والسلام، تلك هي لغة العرب التي أودع الله فيها من الأسرار البيانية ما جعلها تفي بكل ما يستجد من أمور في حياة المسلمين.

وقد استمرت الجهود في الحفاظ على العربية مع تعاقب الأزمان، وبرز طوال القرون التي مرت أفذاذ من العلماء استغرقوا حياتهم كلها بالبحث والتدقيق في مسائل هذه اللغة، والخوض في فنونها وآدابها، فكان كل واحد منهم يقدم خدمته لها من خلال ما يفتح الله عليه من تلك الآداب والفنون، فأظهروا للناس لطائفها، وبينوا جمالها، ووضحوا رونقها وبهاءها.

والقرآن كتاب لا تنقضي عجائبه، ولن يبلغ عبد نهاية المعرفة لمعانيه ومقاصده، وكل محاولات البشر مقاربة لمعرفة معانيه، وما تحتويه من عبر وأسرار، ومن ذلك تشبيهاته الواردة في ثنايا آياته، ففي ثناياها عبر وأسرار، وموعظة واعتبار، لن يعدم الباحث فيها تزكية لنفسه، وسموا لروحه وعقله، إضافة إلى ما يظهر له بالتأمل من جليل المعاني، ودقيق الاستنباط، الذي يقوده إلى تعظيمه وتعظيم المتكلم به سبحانه.

ولقد نعت العرب القرآن بالشعر، لا يرومون من وراء ذلك عقد أوجهًا للتشابه فيما بينهما، وإنما كان ذلك منهم إقرارًا بسحر بيانه واتساع لغته وجمال إيقاعه، لأن هذه هي صفات الشعر لديهم، كما كان وصفهم إياه بالسحر دليلًا على قوة تأثيره في نفوسهم وعلى شدة إحساسهم بثراء معانيه وعجزهم من ثَم عن محاكاته؛ إذ كيف يتسنى لهم أن يغالطوا غيرهم كما غالطوا أنفسهم وليوحوا إلى أوليائهم وإلى الدهماء بما يغرس بذور الشك في نفوسهم فلا يؤمنون.

وعليه فقد استعنت بالله وعقدت العزم على سبر أغوار قضية (أثر علوم القرآن في توجيه المعاني) واخترت أن تكون هذه الدراسة على كتاب معاني القرآن لأبي زكريا الفراء رحمه الله؛ فهو من أوائل الكتب المطبوعة المؤلفة في المعاني.

مشكلة البحث:

القارئ لكتب علوم القرآن يتشتت فكره بين كثرة الوجوه النحوية والصرفية والبلاغية التي يذكرها اللغويون، لاسيما إذا ذكرت غفلًا بلا توجيه وتفصيل للمعنى المتحصل منها، كما أن القارئ قد يعجب من كثرة المعاني المتحصلة من الآية الواحدة، ومن ثم تجئ هذه الدراسة لتحاول أن توضح للقارئ والباحث ملامح توجيه علوم القرآن للمعنى وأثرها عليه، وذلك من خلال الدراسة التطبيقية على كتاب معاني القرآن للفراء رحمه الله خصوصا وأن ماكتب من دراسات كان أكثرها يتعلق بجانب علوم العربية، وماتعلق منها بعلوم القرآن كان في جزء صغير محدد من هذه العلوم – مشكل القرآن وتوجيه القراءات فحسب– مما استدعى هذه الدراسة لأنواع مختلفة من علوم القرآن والتركيز على بيان أثرها على المعنى.وقد تضمنت الدراسة الأسئلة التالية:

- ما ملامح ظاهرة توجيه المعنى وتعدده مع وحدة النظم؟
- ما أثر علوم القرآن في التوجيه والتعدد المعنوي من خلال كتاب معاني القرآن لأبي زكريا الفراء– رحمه الله–؟
- ما الدلائل التي تؤكد إعجاز القرآن وتحديه المستمر من خلال اختلاف معانيه؟
- ما مواطن توجيه علوم القرآن للمعني من خلال كتاب معاني القرآن لأبي زكريا الفراء –رحمه الله–؟

أهداف البحث:

- رصد ظاهرة توجيه المعنى وتعدده مع وحدة النظم، وأثر علوم القرآن في ذلك التوجيه والتعدد، من خلال كتاب معاني القرآن لأبي زكريا الفراء –رحمه الله–.
- التأكيد على إعجاز القرآن وتحديه المستمر من خلال اختلاف معانيه اختلاف تغاير لا اختلاف تضاد.
- الوقوف على مواطن توجيه علوم القرآن للمعنى من خلال كتاب معاني القرآن لأبي زكريا الفراء – رحمه الله–.

أهمية البحث:

الجملة العربية هي مزيج من المفردات المتآلفة، ودلالاتها متحصلة من دلالة تآلف هذه المفردات مع بعضها البعض، وفي بعض الأحيان قد تكون دلالاتها على المعنى قطعية، وفي أحيان كثيرة يدخلها

الاحتمال من جهتين؛ من جهة مفرداتها، أو من جهة تراكيبها، والاحتمالية التي تطرأ على دلالة الجملة هي نوع من التوسع في المعنى، وهي من الأسباب الرئيسة في اختلاف العلماء في تفسير الآيات واستنباط الأحكام الشرعية منها، ومن ثم تنبع أهمية هذا البحث لاسيما وهو يتناول كتاب معاني القرآن للفراء–رحمه الله– ؛هذا المصنف العظيم الذي يستحق التأمل والدراسة. كما أن البحث مهم في إثراء المكتبة الإسلامية بنوع جديد من البحوث المتعلقة بعلوم القرآن وعلاقتها بمعانيه في ضوء كتب معاني القرآن، وفيه إثراء للمعرفة بعلوم القرآن من خلال كتب أهل اللغة، وتطوير للتخصص .

منهج البحث:

استعمل الباحث المنهج الاستقرائي[2] التحليلي[3]، فقمت بتحرير ماهية علوم القرآن وأثرها في توجيه المعاني من خلال تتبع الآيات القرآنية التي وردت في كتاب معاني القرآن للفراء، وقد وجدتها كثيرة، فاخترت منها أمثلة للدراسة العملية لتعطي صورة واضحة على الأثر الذي تحدثه علوم القرآن في توجيه المعاني.

واتبعت الإجراءات التالية:

- تصوير المسألة تصويراً واضحاً قبل استخراج مواطن ورودها في الكتاب محل البحث؛ حتى يتحقق الهدف من بحثها، ثم بيان تكييفها المعنوي، كل في موضعه.
- تخريج الآيات يكون بذكر اسم السورة ورقم الآية في متن البحث.
- عزو نصوص العلماء وآراءَهم لكتبهم مباشرة، ولا يلجأ للعزو بالواسطة إلا عند تعذر الوصول إلى الأصل؛ وفي هذه الحالة يذكر أقدم كتاب ذكر به النص، أو الرأي.
- المنقول نصا كما هو وضعته بين شولتين، وغير ذلك لم أضعه بين شولتين مع الإحالة للمصدر مباشرة في كلا الحالتين.

---

[2] المنهج الاستقرائي : هو عملية ملاحظة للظواهر لتجميع البيانات عنها بهدف التوصل إلى علاقات كلية، ومبادئ عامة، ويمتاز هذا المنهج بانتقال الباحث من الخاص إلى العام، أو من الجزء إلى الكل، كما أنه ينقسم إلى قسمين؛ هما: الاستقراء الكامل، والاستقراء الناقص. حمادة،فاروق محمد ، **منهج البحث في الدراسات الإسلامية**.ص 13.

3المنهج التحليلي : هو منهج يقوم على دراسة الإشكالات العلمية المختلفة:تفكيكا أو تركيبا أو تقويما. **المصدر نفسه** ص 16.

- الاعتناء بصحة المكتوب وسلامته من الناحية اللغوية والإملائية، والنحوية ومراعاة حسن تناسق الكلام وسلاسة الأسلوب.

الدراسات السابقة:

بعد الاطلاع على ما كتب في علوم القرآن لم أجد دراسة سابقة عن بيان أثر علوم القرآن في توجيه معانيه من خلال كتب المعاني؛ ولذا فإني أرجو أن يكون هذا البحث لبنة في هذا الباب. ومع ذلك هناك دراسات تناولت جانبا محددا من علوم القرآن من خلال كتاب معاني القرآن للفراء.

1- **فواصل القرآن عند الفراء**، أحمد الشايب عرباوي، بحث منشور في مجلة علوم اللغة العربية وآدابها, تصدر عن كلية الآداب واللغاب بجامعة الشهيد حمة لخضر بالوادي . المجلد 1 ، العدد1، 2009م.

والباحث هنا درس علاقة الفاصلة القرآنية بجوانب النحو والصرف والدلالة ووصل فيه إلى نتائج أهمها:أن الفراء من أوائل المعتنين بعلم الفاصلة القرآنية إن لم يكن أولهم ،وأن الفراء منح الفاصلة القرآنية قيمة نحوية وصوتية ودلالية.

وتختلف هذه الدراسة عن دراستي في أنها تناولت العناية بالفاصلة القرآنية فحسب دون بقية أنواع علوم القرآن عند الفراء وهذا على خلاف دراستي ،كما أن اتجاه البحث نحا إلى العربية البحتة بحيث بين علاقة الفاصلة بالجانب النحوي والصوتي والدلالي أما أثر الفاصلة في توجيه المعنى فلم يتطرق إليه.

2- **توجيه الفراء لمشكل القرآن الكريم** ،عبيدة أحمد ماجد، بحث منشور في مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية،تصدر عن جامعة بابل، المجلد 29،العدد 5، 2021م.

والباحث هنا درس مسائل مختارة، مؤصلاً ومعللاً لتلك الإشكالات، واقتصر على مسائل مختارة في (:المتشابه القرآني، وموهم التناقض والاختلاف، والمشكل اللغوي).ومن أهم النتائج : أن كتاب معاني القرآن للفراء حفلل بافتراض المشكلات في معاني الآيات القرآنية ، ولم ينص عليها باللفظ الصريح، بل يفترض ثم يبين تأويلها، بأدواته النقلية، والعقلية.وأن الفراء عد المشكل من خصائص المعنى، وجعله في مواضع مما يتشابه، واعتنى بالمشكل بإبعاده اللغوية .

وتختلف هذه الدراسة عن دراستي في أنها تختص بمشكل القرآن وهذا على خلاف دراستي المتعلقة بعلوم القرآن كافة وبيان أثرها في توجيه المعنى.

3- **توجيه القراءات عند الفراء من خلال كتابه معاني القرآن**، إبراهيم الزهراني، رسالة ماجستير ،جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم القراءات ، 1427هـ .

وكما هو ظاهر من عنوانها تتعلق بالقراءات وأثرها في توجيه المعنى فحسب وهو على خلاف دراستي التي تشمل بيان أنواع علوم القرآن المختلفة وأثرها على المعنى من خلال نماذج اخترتها من كتاب معاني القرآن للفراء.

خطة البحث:

وتشتمل على مقدمة، وتمهيد، وثلاث مباحث، وخاتمة، وذلك على النحو التالي:

المقدمة: وفيها بيان مشكلة البحث وتساؤلاته، وأهميته وأهدافه، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وإجراءاته وخطته.

التمهيد: وفيه ترجمة موجزة لأبي زكريا الفراء وكتابه معاني القرآن.

المبحث الأول: مدخل إلى ماهية علوم القرآن وبيان حقيقتها ونشأتها.

المبحث الثاني: علوم القرآن وملامح توجيهها للمعاني في السياق القرآني.

المبحث الثالث: تمثيلات توجيه علوم القرآن للمعاني في كتاب معاني القرآن للفراء.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

الفهارس: وفيها ثبت المصادر والمراجع.

التمهيد:

ترجمة موجزة لأبي زكريا الفراء رحمه الله وكتابه معاني القرآن

هو أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الأسلمي، المعروف بالفراء، الديلمي الكوفي مولى بني أسد، وقيل مولى بني منقر، عُرف بالفراء؛ لأنه كان يفري الكلام، فقد كان أبرع الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب؛ وكان الفراء فقيها عالما بالخلاف وبأيام العرب وأخبارها وأشعارها عارفا بالطب والنجوم متكلما يميل إلى الاعتزال، وكان يتفلسف في تصانيفه ويستعمل فيها ألفاظ الفلاسفة[4].

أخذ النحو عن أبي الحسن علي بن حمزة الكسائي وهو من أشهر أصحابه وأخصهم به، وأخذ عنه سلمة بن عاصم، ومحمد بن عاصم السمري، وقيس بن الربيع، ومندل بن علي، وأبي الأحوص، وأبي بكر بن عياش، وأخذ أيضا عن يونس بن حبيب البصري فاستكثر منه، والبصريون ينكرون ذلك حكى محمد بن الجهم قال، حدثنا الفراء، وكان إماماً ثقة.[5]

ويحكى عن أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب– رحمه الله- أنه قال: لولا الفراء لما كانت اللغة؛ لأنه خلصها وضبطها، ولولا الفراء لسقطت العربية؛ لأنها كانت تنازع ويدعيها كل من أراد، ويتكلم الناس على مقادير عقولهم وقرائحهم فتذهب[6]. وقال أبو بكر بن الأنباري– رحمه الله-: لو لم يكن لأهل بغداد والكوفة من علماء العربية إلاّ الكسائي والفراء لكان لهم بهما الافتخار على جميع الناس؛ إذ انتهت العلوم إليهما. وكان يقال: الفراء أمير المؤمنين في النحو، وعن هناد قال: كان الفراء يطوف معنا على الشيوخ، ولا يكتب فظننا أنه كان يحفظ. وقال محمد بن الجهم: ما رأيت مع الفراء كتابا قط إلا كتاب يافع ويفعة. وعن ثمامة بن أشرس: رأيت الفراء ففاتشته عن اللغة فوجدته بحرا وعن النحو فشاهدته نسيج وحده وعن الفقه فوجدته عارفا باختلاف القوم، وبالطب خبيرا وبأيام العرب والشعر والنجوم فأعلمت به أمير المؤمنين فطلبه، وقال سلمة: أمل الفراء كتبه كلها حفظا، وقال سلمة: إني لأعجب من

---

[4]ابن خلكان، أحمد بن محمد بن إبراهيم، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، ص176.

[5] الذهبي، محمد بن أحمد، **سير أعلام النبلاء**،ص291.

[6]نقله عنه ابن الأنباري، عبد الرحمن بن محمد، **نزهة الألباء في طبقات الأدباء**، ص81- 82

الفراء كيف يعظم الكسائي وهو أعلم بالنحو منه، وقال الجاحظ: دخلت إلى بغداد حين قدمها المأمون سنة أربع ومائتين، وكان بها الفراء؛ فاشتهى أن يتعلم الكلام، ولم يكن له طبع فيه، وقال سلمة: طال تعجبي كيف كان يحيى يعظم الكسائي، وهو أعلم بالنحو منه.[7]

وكان ابتدأ بإملاء " كتابه في القرآن "، سنة ثلاث ومائتين، وكان يملي منه في يومين كل أسبوع، وفرغ منه سنة خمس ومائتين[8].

وعن تأليفه كتابه معاني القرآن يقول أبو بريد الوضاحي: أمر أمير المؤمنين المأمون الفراء أن يؤلف ما يجمع به أصول النحو، وما سمع من العرب، فأمر أن تفرد له حجرة من حجر الدور؛ ووكل به جواري وخدماً للقيام بما يحتاج إليه؛ حتى لا يتعلق قلبه، ولا تتشوق نفسه إلى شيء؛ حتى إنهم كانوا يؤذنونه بأوقات الصلوات. وصير له الوراقين، وألزمه الأمناء والمنفقين؛ فكان الوراقون يكتبون؛ حتى صنف "الحدود" وأمر المأمون بكتبه في الخزائن؛ فبعد أن فرغ من ذلك خرج إلى الناس، وابتدأ يملي كتاب "المعاني". وكان وراقيه سلمة وأبو نصر، قال: فأردنا أن نعد الناس الذين اجتمعوا لإملاء كتاب "المعاني" فلم نضبط؛ فلما فرغ من إملائه خزنه الوراقون عن الناس ليكتسبوا به، وقالوا: لا تخرجه إلى أحدٍ إلا لمن أراد أن ننسخه له على أن كل خمسة أوراق بدرهم؛ فشكا الناس إلى الفراء، فدعا الوراقين، فقال لهم في ذلك، فقالوا: نحن إنما صحبناك لننتفع بك، وكل ما صنعته فليس للناس إليه من الحاجة ما بهم إلى هذا الكتاب؛ فدعنا نعش به. فقال: قاربوهم تنفعوا وتنتفعوا، فأبوا عليه، فقال: سأريكم، وقال للناس: إني أريد أن أملي كتاب المعاني أتم شرحاً وأبسط قولًا من الذي أمللت، فجلس يملي، وأملى في الحمد مئة ورقة، فجاء الوراقون إليه، فقالوا: نحن نبلغ الناس ما يحبون، فننسخ كل عشرة أوراق بدرهم[9].

وكان السبب في إملاء الفراء كتاب «معاني القرآن» أن عمر بن بسكير كان من أصحابه، كان مع الحسن بن سهل فكتب إليه: إن الأمير الحسن لا يزال يسألني عن أشياء من القرآن لا يحضرني عنها جواب، فإن رأيت أن تجمع لي أصولا، وتجعل في ذلك كتابا يرجع إليه فعلت. فلما قرأ الكتاب، قال لأصحابه: اجتمعوا حتى أمل عليكم كتابا في القرآن، وجعل لهم يوما، فلما حضروا خرج إليهم- وكان في

---

[7] **المصدر نفسه** ، ص82- 84.

[8] التنوخي، المفضل بن محمد، **تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم** ،ص188

[9] الحموي، أبو عبد الله ياقوت، **معجم الأدباء: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**، ص313

المسجد رجل يؤذن فيه، وكان من القراء– فقال له: اقرأ، فقرأ فاتحة الكتاب، ففسرها، ثم مر في القرآن كله على ذلك؛ يقرأ الرجل والفراء يفسر. وكتابه هذا نحو ألف ورقة، وهو كتاب لم يعمل مثله، ولا يمكن أحد أن يزيد عليه.[10] وإنما صح قول الفراء، لأنه عمل النحو والعربية على كلام العرب، فقال: كل مسألة وافق إعرابها معناها، ومعناها إعرابها، فهو الصحيح، وإنما لحق سيبويه الغلط، لأنه حمل كلام العرب على المعاني دون الألفاظ، ولم يوجد في كلام العرب وأشعار الفحول إلا ما المعنى فيه مطابق للإعراب، والإعراب مطابق للمعنى، والفراء حمل العربية على الألفاظ والمعاني، فبرع واستحق التقدمة[11].

ومن منهج الفراء في كتابه (معاني القرآن) أنه:

– انتهج منهجا لغويا يتنوع بين النحو، والصرف، وغيرهما، مبينا ما أشكل منها، بالكلام عليها عموما، ثم يعود ليفصل القول فيه.

– اعتنى بالقراءات وتوجيه معانيها والخلاف فيها اعتناء شديدا، واستدلّ على توجيهه بالكثير منها، ولا يختلف الفراء عن عامة النحويين المتقدمين في أنه يؤول أو يخطئ القراءات التي ترد على خلاف ما استنبطه من المقاييس.

– استشهد بالروايات الحديثية، والآثار عن الصحابة في بيان معاني القرآن ولم يغفل التأويل القرآني للآيات.

– حفل الكتاب بالشعر، والشواهد الشعرية ؛ لإثبات رأيه في تأويل الآيات القرآنية.

- أورد الاسرائيليات على قلة ، ولم ينقل ما بان ضعفه[12] .

ومن تصانيفه:

- كتاب اختلاف أهل الكوفة والبصرة والشام في المصاحف.
- كتاب المصادر في القرآن.
- كتاب اللغات.

---

[10] القفطي، علي بن يوسف، **إنباه الرواة على أنباه النحاة**،ص9- 10

[11] **المصدر نفسه**، ص 8

[12]انظر: أكرور،مصطفى ، **منهج أبي زكريا الفراء في كتابه" معاني القرآن"** ،ص277-287

- كتاب الوقف والابتداء.
- كتاب الجمع والتثنية في القرآن.
- آلة الكتاب.
- كتاب النوادر.
- كتاب فعل وأفعل.
- كتاب المقصور والممدود.
- كتاب المذكر والمؤنث.
- كتاب يافع ويافعة.
- كتاب الحدود ألفه بأمر المأمون.
- كتاب مشكل اللغة الكبير.
- كتاب المشكل الصغير. وغير ذلك.[13]

مات الفراء- رحمه الله- بطريق الحج سنة سبع ومائتين، وله ثلاث وستون سنة.[14]

---

[13] الحموي، **معجم الأدباء** ، ص315.

[14] التنوخي، **تاريخ العلماء النحويين**، ص189.

المبحث الأول:

مدخل إلى ماهية علوم القرآن وبيان حقيقتها ونشأتها

إن علوم القرآن والقراءات تعد من أشرف العلوم وأجلها، بل وأفضلها على الإطلاق وأنفعها، لكون موضوعها كتاب الله، وغايتها الاعتصام بكلام الله، ولهذا الأمر اهتم الصحابة ﷺوالتابعون ومن جاء بعدهم وسار على هديهم بهذا العلم، فأقبلوا على كتاب الله إقراءً ودراسة وتصنيفاً وتأليفاً – مختصرات ومطولات – كاشفين عن علومه وحقائقه، مظهرين إعجازه وبيانه، مساهمين في حفظه من التحريف والاندراس[15].

وبالنظر إلى ماهية علوم القرآن في الاصطلاح، فهي المباحث المتعلقة بالقرآن من ناحية مبدأ نزوله، وكيفية هذا النزول، ومكانه ومدته، ومن ناحية جمعه وكتابته في العصر النبوي، وعهد أبي بكر وعثمان، ومن ناحية إعجازه وناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، وأقسامه وأمثاله، ومن ناحية ترتيب سوره وآياته وترتيله وأدائه إلى غير ذلك[16].

وقيل: أنها مباحث تتعلق بالقرآن من ناحية نزوله وترتيبه، وجمعه وكتابته، وقراءاته، ومحكمه ومتشابهه، وناسخه ومنسوخه، وإعجازه، وأساليبه ودفع الشبه عنه ... إلخ ذلك. ويتضح من هذا التعريف أن (علوم القرآن) علم عربي إسلامي في نشأته وتكوينه، بدأ مع نزول القرآن ، وما زال ينضج ويتكامل حتى قيام الساعة[17].

وتحتمل إضافة العلوم إلى القرآن احتمالين:

- **الأول**: أن يراد بها عموم (المعلومات) التي تنطوي تحت ألفاظ القرآن، فأي معلومة نصَّ عليها أو أشار إليها فهي من علومه؛ أي: معلوماته، وهذا المعنى ذهب إليه بعض العلماء، فأطلقوا هذا

---

[15] آل إسماعيل، نبيل بن محمد، **العناية بالقرآن الكريم وعلومه من بداية القرن الرابع الهجري إلى عصرنا الحاضر**، ص1

[16] السخاوي، علي بن محمد، **جمال القراء وكمال الإقراء**، ص9- 10.

[17] البغا، مصطفى ديب، **الواضح في علوم القرآن**، ص8.

على علوم القرآن، قال أبو بكر بن العربي المالكي: «وقد ركَّب العلماء على هذا كلاما، فقالوا: إنَّ علوم القرآن خمسون علما، وأربعُمائة علم، وسبعة آلاف، وسبعون ألف علم، على عدد كَلِمِ القرآن، مضروبة في أربعة، إذ لكل كلمة منها ظهرٌ وبطنٌ، وحدٌّ ومطلع. هذا مطلق دون اعتبار تركيبه، ونَضْدِ بعضِه إلى بعض، وما بينها من روابط على الاستيفاء في ذلك كله، وهذا مما لا يحصى، ولا يعلمه إلاَّ اللهُ»[18]، وهذا المعنى الذي ذهب إليه هؤلاء ـ مع ما فيه من نظر ـ ليس هو المراد بإطلاق علوم القرآن في الاصطلاح الذي هو الاحتمال الثاني المراد بهذه الإضافة.

- الثاني: مباحث تتعلق بالقرآن الكريم من ناحية نزوله وترتيبه وجمعه وكتابته وقراءته وتفسيره وإعجازه وناسخه ومنسوخه ودفع الشبه عنه ونحو ذلك[19].

إذًا هذا التعبير بـ «علوم القرآن» يدل لغة على أنواع العلوم التي تتصل بالقرآن. وهكذا كان يستعمل في عصور المتقدمين، فيراد به علوم تؤخذ من القرآن من علوم الشرع، كالعقيدة، أو الفقه، أو الأخلاق، أو من المعارف العامة حول الإنسان، والكون، والطبيعة، والنبات، والسماء والأفلاك. كما يراد بـ «علوم القرآن» لغة علوم تخدم معاني القرآن مباشرة، وتوصل إليها، أو تدور حوله، أو تستمد منه، فيدخل تحت هذا التعبير بهذا الاستعمال اللغوي الثاني علوم كثيرة ضخمة، مثل: علم التفسير، وعلم القراءات، وعلم الرسم العثماني، وعلم إعجاز القرآن، وعلم إعراب القرآن، وسائر علوم الدين واللغة والبلاغة، وغير ذلك، من علوم، درس العلماء في تآليفهم فيها القرآن كله في ضوء كل علم دراسة تفصيلية[20].

ثم جعل العلماء هذه العبارة: «علوم القرآن» اسم علم، يراد به معنى خاص يدل على علم خاص غير ما سبق كله، لأن هذا المعنى الجديد يختص بأنه علم واحد يجمع ضوابط تلك العلوم المتصلة بالقرآن من ناحية كلية عامة، أما علوم القرآن بالمعنى اللغوي فإن كل علم منها يدرس القرآن كله من زاوية اختصاصه آية آية دراسة تفصيلية[21].

ولذلك يرى الزرقاني–رحمه الله– أن لعلوم القرآن معنيين: معنى إضافي، ومعنى علم على الفن المدون وساقهم على النحو التالي:

---

[18] ابن العربي، محمد بن عبدالله ، **قانون التأويل**، ص 540

[19] الزرقاني، محمد عبد العظيم، **مناهل العرفان في علوم القرآن** ،ج1، ص 27.

[20] الحلبي، نور الدين محمد عتر، **علوم القرآن الكريم**. ص7

[21] **المصدر نفسه**،ص 7

- **المعنى الإضافي**: والإضافة بين "علوم" و"القرآن" تشير إلى أنواع العلوم والمعارف المتصلة بالقرآن سواء كانت خادمة للقرآن بمسائلها أو أحكامها أو مفرداتها، أو أن القرآن دل على مسائلها أو أرشد إلى أحكامها. فيشمل كل علم خدم القرآن أو استند إليه كعلم التفسير وعلم التجويد وعلم الناسخ والمنسوخ وعلم الفقه وعلم التوحيد وعلم الفرائض وعلم اللغة وغير ذلك. بل توسع بعض العلماء فعدّ منها علم الهيئة والفلك والجبر والهندسة والطب وغيرها.

والحق أنه وإن كان القرآن يدعو إلى تعلمها إلا أنه لا يجمل عدها من علوم القرآن هناك فرقًا كبيرًا بين الشيء يحث القرآن على تعلمه في عمومياته أو خصوصياته وبين العلم يدل القرآن على مسائله أو يرشد إلى أحكامه، وبهذا يظهر لك أن علوم القرآن بالمعنى الإضافي تشمل كل العلوم الدينية والعربية[22].

- **معناه كفنٍ مدون**: ثم نقل المعنى الإضافي وجعل علمًا على الفن المدون وأصبح مدلوله كفن مدون أخص من مدلوله بالمعنى الإضافي. ويُعرّف علوم القرآن كفن مدون بأنه: مباحث تتعلق بالقرآن من ناحية نزوله وجمعه وقراءاته وتفسيره وناسخه ومنسوخه وأسباب نزوله ومكيه ومدنيه ونحو ذلك. ويسمى هذا العلم بـ"أصول التفسير" لأنه يتناول العلوم التي يشترط على المفسر معرفتها والعلم بها[23].

وعلوم القرآن كثيرة، وحسبك أن تعلم أن المكتبة العربية كلها بعلومها المختلفة الكثيرة، إنما انبثقت عن القرآن وتفرعت عنه، فعلم العربية بفروعها من أدب وبلاغة وقواعد ولغة، من علوم القرآن. والشريعة الإسلامية بفروعها من الفقه والأصول، والتفسير والحديث والتوحيد، من علوم القرآن. والتاريخ وكثير من مسائل الكونيات وأصول البحث من علوم القرآن[24].

ولذلك يقول الزركشي –رحمه الله–: «كل علم من العلوم منتزع من القرآن وإلا فليس له برهان، ثم نقل عن ابن مسعود ﷺ قوله : "من أراد العلم فليثور[25] القرآن فإن فيه علم الأولين والآخرين". رواه البيهقي[26] وقال: أراد به أصول العلم. وقد كان الصحابة ﷺعلماء ؛كل منهم مخصوص بنوع من العلم ؛كعلي

---

[22]الزرقاني، **مناهل العرفان** ،ج1،ص23،24

[23]**المصدر نفسه**، ج1،ص 27.

24البوطي، محّمد سَعيد رَمضان، **من روائع القرآن**، ص65.

25أي ليُنَقِّر عنه، ويفكر في معانيه، وتفسيره، وقراءته. ابن الأثير ،**النهاية في غريب الحديث**،ج 1ص229.

[26] رواه البيهقي في **شعب الإيمان**، ح (1808) واللفظ له ، والطبراني في **المعجم الكبير**،ح (8666).قال الهيثمي في **مجمع الزوائد**،كتاب التفسير، باب في فضل القرآنج7 ص 165:" رواه الطبراني بأسانيد، ورجال أحدها رجال الصحيح".

ﷺبالقضاء وزيد ﷺبالفرائض ومعاذ ﷺبالحلال والحرام وأُبيﷺ بالقراءة فلم يُسم أحد منهم بحرا إلا عبد الله بن عباسﷺ ؛لاختصاصه دونهم بالتفسير وعلم التأويل ،وقال فيه علي بن أبي طالبﷺ: "كأنما ينظر إلى الغيب من ستر رقيق"[27]،وقال فيه عبد الله بن مسعودﷺ:" نعم ترجمان القرآن ابن عباس[28]ﷺ" [29].

وإنما يصدق أن كل علم من العلوم منتزع من القرآن على أساس الوجهين التاليين:

- **الوجه الأول**: أن القرآن يشتمل على كل تلك العلوم اشتمالا مختلفا ومتفاوتا. فمنها ما يشتمل عليه القرآن بمعناه الحقيقي دون أي تأويل أو مبالغة؛ كعلوم الفقه والأصول والتفسير والبلاغة والقواعد واللغة. ومنها ما يشتمل القرآن على أصوله ومفاتيحه، بمعنى أنه ينبه القارئ إليه ويرشده إلى كثير من كلياته وأصوله، ككثير من العلوم الكونية والفلكية، وعلم الطب والأبدان.
- **الوجه الثاني**: أن القرآن هو الذي نبه العرب والمسلمين إلى ضرورة الإقبال على هذه العلوم والأبحاث، بل هو المنطلق الأول لشيء اسمه «التدوين» في التاريخ العربي. فالقرآن هو الذي أشعر الناس بضرورة وضع قواعد في النحو والإعراب، وهو الذي أشعرهم بالحاجة إلى وضع موازين وضوابط للبلاغة العربية ووجوهها، وهو الذي دعاهم إلى وضع الموسوعات اللغوية المختلفة، وهو الذي اضطرهم إلى تدوين شيء اسمه (علم الكلام) بما يشتمل عليه هذا العلم من قواعد البحث والمنطق لتعزيز الأدلة النقلية بالبراهين العقلية[30].

نشأة علوم القرآن:

إن بداية ظهور علوم القرآن مرتبطة ببداية نزوله، فلما نزل جبريل عليه السلام على رسول الله ﷺ في غار حراء، وتلا عليه قوله تعالى:

﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ

[27] رواه الدينوري، أحمد بن مروان في **المجالسة وجواهر** العلم،ح (599)،ج 2ص 415،وقال:"إسناده ضعيف".

[28]رواه أحمد بن حنبل في **فضائل الصحابة**،باب فضائل عبدالله بن عباس ،ح (1556) ج2ص 845، ورواه الحاكم في **مستدركه** ،باب ذكر عبدالله بن عباس ،ح (6291) وقال:" هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه".

[29]الزركشي، محمد بن عبد الله بن بهادر،**البرهان في علوم القرآن**، ص8.

[30]البوطي، **من روائع القرآن** ، ص65.

﴿ٱلۡقَلَمِ ۝ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝﴾ [العلق: 1 – 5] بدأت العلوم المرتبطة بالقرآن بالظهور شيئاً فشيئاً. ويمكن أن يُستنبطَ من نزوله على الرسول ﷺ في غار حراء جملة من أنواع علوم القرآن، ففيه من هذه الأنواع: نزوله خصوصا أول ما نزل– قراءته– الوحي، ثمَّ ما لبث القرآن ينْزل مرةً بعد مرَّةٍ، ويحدثُ من علومِه غير هذه الثلاثة على حسبِ موضوعات الآيات وما يتعلَّقُ بها. ولا ريب أن نشأة علوم القرآن كانت قد بدأت مع نزوله كما هو ظاهر، وقد كان هناك جملة من علومه التي اعتنى بها الصحابة رضي الله عنهم، وكان في أحاديث الرسول ﷺ وآثار الصحابة ﷺ والتابعين ما يُنبئُ عن أن لهذا القرآن علوما يُحثُّ على تعلمها[31].

حتى جاء عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان ﷺ فجمع القرآن في مصحف إمام، ونسخ عدة نسخ منه لإرسالها إلى الأقطار الإسلامية، والذي كان الأساس لما يسمّى «علم رسم القرآن». وفي عهد عليّ رضي الله عنه وضع الأساس لما يسمّى «علم النحو» بعد أن أمر عليّ ﷺ أبا الأسود الدؤلي أن يضع بعض القواعد؛ لحماية لغة القرآن من العُجمة وتفشي اللحن بين الناس. وفي العهد الأمويّ ساهم عدد من الصحابة والتابعين في وضع الأساس لما يسمّى «علم التفسير» و «علم أسباب النزول» و «علم الناسخ والمنسوخ» و «علم غريب القرآن»[32].

وقد شكلت لجنة لهذا العمل الجليل برئاسة زيد بن ثابت ﷺ،فوضعت لها منهجا اتبعته في رسم الكلمات التي ورد فيها أكثر من قراءة صحيحة، وبهذا تكون هذه اللجنة قد وضعت الأساس لعلم "رسم القرآن"[33].

وإنه لمن الصعب الجزم بتحديد أول من جمع هذه العلوم في كتاب واحد إلا أن الشيخ عبد العظيم الزرقاني– رحمه الله– يذكر أن أول من ألّف في علوم القرآن هو علي بن إبراهيم بن سعيد– رحمه الله– المشهور بالحوفي، المتوفي سنة (330 هـ) حيث صنف كتابه «البرهان في علوم القرآن»[34]، ولكن وُجد أن هناك من ألف في علوم القرآن من قبل الحوفي كالواقدي– رحمه الله– المتوفي سنة (207 هـ) حيث

---

[31]الطيار، **المحرر في علوم القرآن** ،ص29.

[32]البغا، **الواضح في علوم القرآن**، ص9.

[33]السخاوي، **جمال القراء**، ص9– 10.

[34]الزرقاني، محمد عبد العظيم، **مناهل العرفان في علوم القرآن**،ج1، ص 34–35

صنف كتابه «الرغيب في علم القرآن»، وابن المرزبان- رحمه الله- المتوفي سنة (309 هـ) الذي ألف كتابه «الحاوي في علوم القرآن» وغيرهما.[35]

المبحث الثاني:

علوم القرآن وملامح توجيهها للمعاني في السياق القرآني

ما من شك في أنّ العلاقة بين القرآن والنحو علاقة وثيقة، تتجلى في الكثير من المظاهر، وقد عنيت كتب إعراب القرآن وتفسيره أيّما عناية بإعراب الكلمات والجمل؛ إذ إنّه مرتبط ارتباطًا وثيقا بالمعنى، بيد أنّا نجد المفسرين في كثير من الآيات القرآنية يشيرون إلى معنى صحيح لا يوافق قواعد الصناعة النحوية، ومن هنا تقع مخالفة بين المعنى والإعراب، أحدهما يدعونا إلى أمر والآخر يأباه، ولم يكن علماؤنا بعيدين عن هذا الأمر، فقد لفت نظرهم فأوردوه في مؤلفاتهم[36].

فالتأسيس للدرس اللغوي توثقت علاقته بالدراسات القرآنية؛ خاصة لما أحس العرب المسلمون بخطورة المساس بلغة القرآن نتيجة للفتوحات الإسلامية ودخول الكثير من الأعاجم تحت راية الإسلام؛ فكانت العلاقة الوطيدة بين الدرس اللغوي والقرآن، وباعتبار أن القراءات القرآنية في مجموعها هي لغة القرآن فقد أسهمت إسهامًا بالغًا في نهوض الدرس اللغوي وكذلك الذي ساعد على ذلك أن أغلب اللغويين هم قراء أمثال أبي عمرو بن العلاء والكسائي وغيرهم من اللغويين الأوائل، وهم في مرحلة تقعيد النحو استفادوا من القراءات القرآنية في استنباط الكثير من قواعدهم، وكان هذا ظاهرًا جليًا خاصة في قواعد الكوفيين باعتبارهم أنهم يبنون القاعدة حتى على الشاهد الواحد[37].

---

[35] السخاوي، **جمال القراء**، ص9- 10.

[36] الناصري، غانم هاني كزار، **تجاذب المعنى والصناعة النحوية في القرآن الكريم** ، ص 850.

[37] بن طبال، نعيمة، **التوجيه الصرفي وأثره في المعنى**، ص11.

والذي يقرأ في كتب التفسير وإعراب القرآن يستوقفه التوسع في تفسير الألفاظ، والتزيد في معنى التركيب، كل ذلك يكون منهم مع علمهم أنهم يتعاملون مع ألفاظ القرآن، وهم من أحرص الناس على اقتفاء الأثر في تفسيره، وأوقف الناس عن الابتداع في كتاب الله والقول فيه بغير علم، والذي حملهم على هذا التوسع هو الحرص على استيفاء كل المعاني المحتملة للفظ والتركيب؛ إذ يكون المعنى في أحدها، فالقرآن نزل بلغة العرب، وهو جار على أساليبها وطرق بيانها، وألفاظ العربية وتراكيبها قد تحتمل أكثر من دلالة مع كون اللفظ واحدًا.[38]

كما أن اللفظة القرآنية تتميز بخصوصية يفتقر إليها كلام الناس وتعبيراتهم مهما بلغت حظا من البلاغة والبيان، فهي تتناول سائر صور المعنى وخصائصه، ولا تقف عند العموميات التي تقف عند حدودها تعبيرات البشر وتمتاز كذلك عن سائر المرادفات اللغوية بتمام التطابق مع المعنى المراد، فإذا أردت استبدال لفظ بغيره، لم يسد مسده، ولم يغن غناه، ولم يؤد الوظيفة التي يؤديها؛ وذلك لأن المعنى القرآني يتناول من الكلمات أدقها دلالة، وأتمها تصويرًا بالنسبة إلى نظائرها، فإذا استنفذت اللغة طاقتها ولا تزال بقية من المعنى أو الصورة شاردة وراء حدود البلاغة، اتسعت لها الكلمة القرآنية وشملتها عن طريق ما تتسم به من جرس ووزن وإيقاع، وهكذا القرآن يسخر كلماته ومعانيه لما وراء الحدود التي تقف عندها طاقة اللغة[39].

فالكلمة ذاتها في تركيبها المعين قد تحتمل أكثر من إعراب، فقد تكون مرفوعة ولها وجهها ومعناها، وقد تكون منصوبة ولها وجهها ومعناها، وقد تكون مخفوضة ولها وجهها ومعناها، والذي سهل هذا التنوع في الإعراب وتوجيه المعاني في المفردة الواحدة هو عدم ظهور العلامة الإعرابية على آخرها لأسباب متنوعة كـ (الكلمات المبنية – الكلمات المقصورة – الجمل التي لا محل لها من الإعراب) كما أنه من نافلة القول أن نذكر أن لكل إعراب معنى يختلف عن الأعاريب الأخرى، وهذا الاختلاف يثري المعنى العام للتركيب، وهو نوع من أنواع التوسع في المعنى[40].

ولعلوم القرآن أثر كبير في توضيح القرآن ، واستجلاء معانيه، واستظهار المراد من خطاب الله سبحانه وتعالى، واستنباط الأحكام الشرعية خصوصًا، حيث يتوخى منها معرفة صيانة الكتاب العزيز عن التحريف

---

[38] الشجيري، هادى أحمد فرحان، **الإعراب وأثره في توسيع المعنى: دراسة تطبيقية على آيات من القرآن الكريم السياقية** ، ص319.

[39] أحمد، لقمان فتاح،**تنوع المعاني إثر انتقاء اللفظ القرآني في سورة الكهف**، ص3.

[40] الشجيري، **الإعراب وأثره في توسيع المعنى**، ص324.

والتغيير، وما لذلك من الارتباط الوثيق بالتفسير، لأنه بعلوم القرآن ينكشف من معاني الآية ما لا ينكشف بالقراءة العادية، ومن خلالها يترجح لدينا بعض الوجوه المحتملة لما تحمله الآيات القرآنية من معاني يصل خلالها المفسر والباحث إلى المعنى المحتمل.

ولقد دلت المصادر على أن العلماء كانوا يرون أن الحركات الإعرابية دوال على المعاني، وقد بينوا أن تحصيل المعنى من اللفظ لا يكون إلا بتمييز وجوه حركات الإعراب، ومن ذلك يقول الجرجاني- رحمه الله-: "إذ كان قد علم أن الألفاظ مغلقة على معانيها، حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها، وأن الأغراض كامنة فيها حتى يكون هو المستخرج لها، وأنه المعيار الذي لا يتبين نقصان كلام ورجحانه حتى يعرض عليه، والمقياس الذي لا يعرف صحيح من سقيم حتى يرجع إليه"[41].

وإنما يرجع ذلك لأن الكلام كما يذكر أبو حيان التوحيدي- رحمه الله- كالجسم، والنحو كالحيلة، وأن التمييز بين الجسم والجسم إنما يقع بالحلى القائمة والأعراض الحالة فيه، وأن حاجته إلى حركة الكلمة بأخذه وجوه الإعراب حتى يتميز الخطأ من الصواب كحاجته إلى نفس الخطاب. وليس على كلامه قياس، ولا في ركاكة بني جنسه التباس، وإنما غره من هو أنقص منه فطرة، وأخس نظرا وفكرة. أتراه يصل إلى تخليص اللفظ المبني على معنى دون اللفظ المبني على معنى آخر، إلا بحفظ الأسماء وتصريفها؟ أتراه يقف على تحصيل المعنى المدفون في هذا اللفظ دون المعنى المدفون في هذا اللفظ إلا بتمييز وجوه حركات اللفظ؟ فبان لك أن الحالف بالتورية في يمينه: والله ما رأيته، وهو يريد ما ضربت رئته، ووالله ما قلبته، وهو يريد ما ضربت قلبه، ليدفعن نفسه ضيما نزل به بما يفهم من الرؤية والقلب الذي هو العكس، إنما يبرأ من الحنث ويتخلص من الضيم لقيامه بحفظ اللغة.[42]

ويزيد الزجاجي- رحمه الله- على ذلك فيقول: " إن قال: فقد ذكرت أن الإعراب داخل في الكلام، فما الذي دعا إليه واحتج إليه من أجله؟ الجواب أن يقال: إن الأسماء لما كانت تعتورها المعاني، فتكون فاعلة ومفعولة، ومضافة، ومضافاً إليها، ولم تكن في صورها وأبنيتها أدلة على هذه المعاني، بل كانت مشتركة، جُعلت حركات الإعراب فيها تنبئ عن هذه المعاني، فقالوا :(ضرب زيد عمرا)، فدلوا برفع زيد على أن الفعل له، وبنصب عمرو على أن الفعل واقع به. وقالوا:(ضُرب زيد)، فدلوا بتغيير أول الفعل

---

[41] الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن، **دلائل الإعجاز في علم المعاني**، ص27.

[42] أبو حيان، علي بن محمد، **البصائر والذخائر**، ج1،ص 180

ورفع زيد على أن الفعل ما لم يسم فاعله وأن المفعول قد ناب منابه. وقالوا هذا غلام زيد، فدلوا بخفض زيد على إضافة الغلام إليه، وكذلك سائر المعاني جعلوا هذه الحركات دلائل عليها ليتسعوا في كلامهم، ويقدموا الفاعل إن أرادوا ذلك أو المفعول عند الحاجة إلى تقديمه، وتكون الحركات دالة على المعاني".[43].

وهذا قول جميع النحويين إلا أبا علي قطربا- رحمه الله- فإنه عاب عليهم هذا الاعتلال، وقال: لم يعرب الكلام للدلالة على المعاني، والفرق بين بعضها وبعض، وإنما أعربت العرب كلامها لأن الاسم في حال الوقف يلزمه السكون للوقف، فلو جعلوا وصله بالسكون أيضا، لكان يلزمه الاسكان في الوقف، والوصل فكانوا يبطئون عند الإدراج، فلما وصلوا وأمكنهم التحريك، جعلنا التحريك معاقبا للإسكان ليعتدل الكلام. وقال الخالفون له ردا عليه: " لو كان كما ذكر لجاز جر الفاعل مرة، ورفعه، أخرى ونصبه، وجاز نصب المضاف إليه لأن القصد في هذا، إنما هو الحركة تعاقب سكونا، ليعتدل بها الكلام فأي حركة أتى بها المتكلم أجزأته، فهو مخير في ذلك، وفي هذا فساد للكلام، وخروج عن أوضاع العرب وحكمة نظمهم في كلامهم"[44].

ويرى ابن فارس- رحمه الله- أن هناك أثرًا كبيرًا لعلوم القرآن في توضيح وتوجيه المعنى إذ يقول: "فأما الإعراب فبه تميز المعاني ويوقف على أغراض المتكلمين. وذلك أن قائلا لو قال: "ما أحسن زيد" غير معرب أو "ضرب عمر زيد" غير معرب لم يوقف على مراده. فإن قال: "ما أحسنَ زيدا" أو "ما أحسنَ زيد" أو "ما أحسنَ زيد" أبان بالإعراب عن المعنى الذي أراده. وللعرب في ذلك ما ليس لغيرها: فهم يفرقون بالحركات وغيرها بين المعاني. يقولون "مفتح" للآلة التي يفتح بها. و"مفتح" لموضع الفتح و"مقص" لآلة القص. و"مقص" للموضع الذي يكون فيه القص. و"محلب" للقدح يحلب فيه و"محلب" للمكان يحتلب فيه ذوات اللبن. ويقولون: "امرأة طاهر" من الحيض لان الرجل لا يشركها في الحيض. وطاهرة من العيوب لأن الرجل يشركها في هذه الطهارة. وكذلك "قاعد" من الحبل و"قاعدة" من القعود. ثم يقولون: "هذا غلاما أحسن منه رجلا" يريدون الحال في شخص واحد. ويقولون: "هذا غلام أحسن منه رجل" فهما إذا شخصان"[45].

---

[43]الزجاجي ،أبو القاسم ، **الإيضاح في علل النحو** ،ص69-70

[44]المصدر نفسه، ص 70-71

[45]ابن فارس، أحمد بن زكرياء الرازي،**الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها**، ص143.

بينما ينبه ابن جني– رحمه الله– على عدم الغفلة عن المعنى عند تناول الإعراب فضلا عن الوقوف عند ظاهر المعنى؛ إذ قد يكون ماهية المعنى مخالفة لتقدير الإعراب، ولقد خصص بابًا في خصائصه أسماه "باب في الفرق بين تقدير الإعراب وتفسير المعنى" يقول فيه: "ألا ترى إلى فرق ما بين تقدير الإعراب وتفسير المعنى فإذا مر بك شيء من هذا عن أصحابنا فاحفظ نفسك منه ولا تسترسل إليه فإن أمكنك أن يكون تقدير الإعراب على سمت تفسير المعنى فهو ما لا غاية وراءه وإن كان تقدير الإعراب مخالفا لتفسير المعنى تقبلت تفسير المعنى على ما هو عليه، صححت طريق تقدير الإعراب حتى لا يشذ شيء منها عليك وإياك أن تسترسل فتفسد ما تؤثر إصلاحه"[46].

المبحث الثالث:

تمثيلات توجيه علوم القرآن للمعاني في كتاب معاني القرآن للفراء

كتاب معاني القرآن، كتاب واسع في مادته، جليل في مكانته، فضلًا عن قدمه التاريخي، ويمثل المذهب الكوفي، ويرجع إليه الباحثون في دراساتهم؛ إذ يجدون فيه تفصيلًا شاملًا لأغلب الأسس التي يستندون إليها في توضيح ذلك، فالفراء– رحمه الله– حينما كان يعلل لتأويل هذه الآية أو تلك، أو

[46]ابن جني، عثمان الموصلي، **الخصائص**، ج 2، ص 284– 285.

يعرب لفظة، أو يبين موضع تركيب كان يتوسع كثيرًا؛ لهذا جاءت الآراء النحوية والقواعد فيه كثيرة وواسعة موجهة للمعاني القرآنية.

وأسلوب الفراء- رحمه الله- في كتابه إنما يذكر ما في الآيات من المعاني اللغوية، ثم يعود ليذكر ما فيها من قراءات إن وجدت، ويأتي بتعليلاته هو وبتعليلات غيره، ويستعين بالشواهد النحوية: آيات من القرآن كانت أم شعرًا، ويشير أحيانا إلى لغات القبائل، فمن هنا جاء الكتاب بهذه السعة، ونجده أيضًا ينقل آراء كثير من العلماء السابقين كالكسائي مثلا؛ إذ هو تسجيل جيد لآرائه فهو شيخه، وهما اللذان أرسيا المذهب الكوفي[47].

تمثيلات توجيه علوم القرآن للمعاني في كتاب معاني القرآن للفراء:

أولًا: في تنوع الإعراب في الكلمات المبنية وأثره في توجيه المعنى نجد قوله تعالى: ﴿ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ٤٣ ﴾[هود: 43] فـ(من)في موضع نصب؛لأن المعصوم خلاف للعاصم والمرحوم معصوم. فكأنه نصبه بمنزلة قوله ﴿ مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا ﴾ [النساء: 157]، ولكن لو جعلت العاصم في تأويل معصوم كأنك قلت: لا معصوم اليوم من أمر الله لجاز رفع (من) ولا تنكرن أن يخرج المفعول على فاعل ألا ترى قوله:﴿ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ٦ ﴾[الطارق: 6]؛ فمعناه: مدفوق ولو قيل لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم كأنك قلت: لا يعصم الله اليوم إلا من رحم ولم نسمع أحدا قرأ به[48].

فهنا الفراء -رحمه الله- يذكر وجهين إعرابيين في (من) النصب والرفع ،وكيف أنها باختلاف إعرابها اختلف المعنى المقصود .

---

[47] العمر، أحمد خطاب، **الفراء والدراسات القرآنية: تقويم كتاب معاني القرآن للفراء**، ص3.

[48] الفراء، يحيى بن زياد ، **معاني القرآن**،ج2، ص15.

وفي قول الله جل وعز:﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَا ﴾[الرعد:2]جاء فيه قولان. يقول: خلقها مرفوعة بلا عمد، ترونها: لا تحتاجون مع الرؤية إلى خبر. ويقال: خلقها بعمد لا ترونها، لا ترون تلك العمد. والعرب قد تقدم الحجة من آخر الكلمة إلى أولها: ويكون ذلك جائزا[49].

ثانيًا: في تعدد الأوجه النحوية وأثره في توجيه المعنى وتوسيعه نجد قوله تعالى: ﴿ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيّٗا ﴾[مريم: 10]،يقول الفراء: (أن) في موضع رفع ؛أي آيتك هذا. و (تكلم) منصوبة بأن ولو رُفعت كما قال: ﴿ أَفَلَا يَرَوۡنَ أَلَّا يَرۡجِعُ إِلَيۡهِمۡ قَوۡلٗا ﴾[طه:٨٩] كان صوابا ، وإذا رأيت (أن) الخفيفة معها (لا) فامتحنها بالاسم المكني مثل الهاء والكاف. فإن صلحا كان في الفعل الرفع والنصب وإن لم يصلحا لم يكن في الفعل إلا النصب ألا ترى أنه جائز أن تقول: آيتك أنك لا تكلم الناس والذي لا يكون إلا نصبا[50].

فهاهنا الفراء- رحمه الله يذكر وجهين نحويين جائزين في لفظ (تكلم) هما:النصب والرفع، ويقعد قاعدة ويستشهد بآيات تؤكد قوله، ويبين اختلاف التقدير للمعنى بناء على اختلاف الموقع الإعرابي للكلمة.

وقوله تعالى: ﴿ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ۝٥ ﴾[القدر: 5] حيث حمل الفراء شبة الجملة " حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْر" متعلقة بقوله " سَلام" وحجته في ذلك انقطاع الكلام عند قوله: «من كل أمر»، ثم استئنافه فقال: «سلام هي حتى مطلع الفجر» و (المطلع) كسره يحيى بن وثاب وحده، وقرأه العوام بفتح اللام (مطلع)، وقول العوام أقوى في قياس العربية؛ لأن المطلَع بالفتح هو: الطلوع، والمطلِع: المشرق، والموضع الذي تطلع منه إلا أن العرب يقولون: طلعت الشمس مطلِعا فيكسرون. وهم يريدون: المصدر، كما تقول: أكرمتك كرامة، فتجتزئ بالاسم من المصدر. وكذلك قولك: أعطيتك عطاء اجتزى فيه بالاسم من المصدر[51].

فالفراء-رحمه الله- يذكر قراءتين في (مطلع) ويوجه المعنى فيهما بحسب القراءة،مع تقوية أحدهما ،والبحث عن مخرج للأضعف منهما.

---

[49] الفراء، **معاني القرآن**،ج2، ص 57.

[50] **المصدر نفسه**،ج2،ص 161

[51] **المصدر نفسه**،ج 3،ص 280

ثالثًا: في الاختلاف في الإعراب وأثره في توجيه المعاني نجد قوله تعالى: ﴿ أَنْ أَدُّوٓاْ إِلَيَّ عِبَادَ ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ١٨ ﴾[الدخان: 18] إذ يقول الفراء: وقوله:(أن أدوا إلي عباد الله)، يقول: ادفعوهم إلي، أرسلوهم معي، وهو قوله: ﴿ فَأَرۡسِلۡ مَعِيَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾[الأعراف:105]، ويقال: أن أدوا إلى يا عباد الله، والمسألة الأولى نصب فيها العباد بأدوا[52].

رابعًا: في أثر الوقف والابتداء على توجيه المعاني نجد قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ وَقُودُ ٱلنَّارِ ١٠ كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ١١ ﴾ [آل عمران: 10- 11]، فلقد ذهب الفراء- رحمه الله- إلى جواز تعليق الجار والمجرور في قوله تعالى: "كَدَأْبِ" بقوله تعالى: "كَفَرُوا" التي ذكرت في الآية التي قبلها، فيكون هو عامل النصب فيه، ويكون التقدير: كفرت اليهود ككفر آل فرعون وشأنهم، وهذا يعني أن الوقوف على رأس الآية والبدء بالكاف ومدخولها لا يصح معه الوقوف على "آلِ فِرْعَوْنَ " وإنما يلزم عطف ما بعد هذا الأخير عليه، كما يلزم وصل رأس الآية بما بعدها الوقوف على "كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ" ليكون ما بعدها جملة مستأنفة مستقلة بذاتها، ويعني كذلك أن البدء بالكاف الجارة مع مدخولها ووصلهما بما بعدهما يفيد معنى ويمثل درجة من درجات الوقف، كما يفيد وصلهما بما قبلهما معنى آخر ويمثل درجة أخرى[53].

خامسًا: في صور التغير في صيغة الفعل يتوجه المعنى أيضًا، فقد يحدث هناك تغير بين القراءات القرآنية في صيغ الأفعال، فتتحول في قراءة ثانية إلى أسماء، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا وَٱسۡمَعُواْۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٠٤ ﴾ [البقرة: 104] وذلك بين قراءتي (راعِنا) و (راعِناً) يقول الفراء: وقد قرأها الْحَسَن

---

[52] **المصدر انفسه**، ج 3،ص 40

[53] **المصدر نفسه**،ج 1، ص 191

الْبَصْرِيّ: «لا تَقُولُوا راعِناً» بالتنوين، يقول: لا تقولوا حُمْقا، وينصب بالقول كما تقول: قَالُوا خيرا وقالوا شرا[54].

سادسًا: بالنظر إلى أثر الصرف العربي والقراءات القرآنية في توجيه المعاني ففي أبنية الأسماء بين فَعَل وفَعِل، نقف عند قول الله تعالى:

﴿ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ [الأنعام: 125] يقول الفراء: " قرأها ابن عباس وعمر (حرِجا) . وقرأها الناس: حرَجا. والحرج- فيما فسر ابن عباس- الموضع الكثير الشجر الذي لا تصل إليه الراعية. قال: فكذلك صدر الكافر لا تصل إليه الحكمة. وهو في كسره وفتحه بِمنزلة الوحَد والوحِد، والفَرَد والفِرِد، والدَنَف والدِنِف[55]: تقوله العرب فِي معنى واحد"[56].

هنا الفراء -رحمه الله- يذكر تصاريف كلمة حرج ،ويبين أن المعنى واحد لايختلف باختلاف التصاريف للفعل.

وفي تصريف الفعل وأثره على توجيه المعنى نقف على قوله تعالى:

﴿ لِّنُحۡيِيَ بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗا وَنُسۡقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقۡنَآ أَنۡعَٰمٗا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرٗا ﴿٤٩﴾ ﴾[الفرقان: 49] يقول الفراء: "وقوله: وأناسي كثيرا، واحدهم إنسي ،وإن شئت جعلته إنسانا ثم جمعته أناسي فتكون الياء عوضا من النون والإنسان في الأصل إنسيان؛ لأن العرب تصغره أنيسيان. وإذا قالوا: أناسين فهو بيّن مثل بستان وبساتين، وإذا قالوا (أناسي كثيرا) فخففوا الياء أسقطوا الياء التي تكون فيما بين عين الفعل ولامه مثل قراقير وقراقر[57]، ويبين جواز أناسي بالتخفيف قول العرب أناسية كثيرة ولم نسمعه في القراءة"[58].

وفي تصريف الاسم وأثره على توجيه المعنى نقف على قوله تعالى:

﴿ فَجَعَلَهُمۡ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرٗا لَّهُمۡ لَعَلَّهُمۡ إِلَيۡهِ يَرۡجِعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الأنبياء: 58] وفي ذلك يقول الفراء: فمن قال (جُذاذا) فرفع الجيم فهو واحد مثل الحُطام والرُفات. ومن قال (جِذاذا) بالكسر فهو جمع كأنه جذيذ وجذاذ مثل خفيف وخِفاف[59].

---

[54] **المصدر نفسه**،ج1، ص 70

[55]الدَّنَفُ: المَرَض المُخامِرُ المُلازِم. الفراهيدي، الخليل بن أحمد، **العين**، ج8، ص 48

[56] الفراء، **معاني القرآن** ،ج1،ص 353

[57]جمع قرقور وهي السفينة العظيمة أو الطويلة. ابن منظور، محمد بن مكرم، **لسان العرب** ،ج 5، ص82

[58]الفراء، **معاني القرآن**،ج 2، ص 269

[59]**المصدر نفسه**،ج 2، ص 206

وفي صيغة منتهى الجموع وأثرها في توجيه المعني، نقف عند قول الله تعالى: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ﴾ [التوبة: 25]، وفي ذلك يقول الفراء: نصبت المواطن؛ لأن كل جمع كانت فيه ألف قبلها حرفان وبعدها حرفان فهو لا يجرى مثل صوامع، ومساجد، وقناديل، وتماثيل، ومحاريب. وهذه الياء بعد الألف لا يعتد بها لأنها قد تدخل فيما ليست هي منه، وتخرج مما هي منه، فلم يعتدوا بها، إذ لم تثبت كما ثبت غيرها. وإنما منعهم من إجرائه أنه مثال لم يأت عليه شيء من الأسماء المفردة، وأنه غاية للجماع إذا انتهى الجماع إليه فينبغي له ألا يجمع. فذلك أيضا منعه من الانصراف ألا ترى أنك لا تقول: دراهمات، ولا دنانيرات، ولا مساجدات. وربما اضطر إليه الشاعر فجمعه. وليس يوجد في الكلام ما يجوز في الشعر[60].

سابعاً: في أثر القراءات على توجيه المعنى، نقف عند جملة من التمثيلات منها:

قوله تعالى: ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴾ [الروم: 39]، يقول الفراء: وقوله: (هم المضعفون) أهل للمضاعفة كما تقول العرب: أصبحتم مسمنين معطشين إذا عطشت إبلهم أو سمنت. وسمع الكسائي العرب تقول: أصبحت مقويا أي إبلك قوية، وأصبحت مُضْعفا أي إبلك ضعاف تريد ضعيفة من الضعف[61].

وقوله تعالى:﴿ فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ﴾ [سبأ: 19]، يقول الفراء: ربنا بَاعِد بين أسفارنا قراءة العوام. وتقرأ على الخبر (ربنا بعَّد بين أسفارنا) و (بَاعد)، وتقرأ على الدعاء (ربنا بعِّد)، وتقرأ (ربنا بعد بين أسفارنا) تكون (بين) في موضع رفع وهي منصوبة. فمن رفعها جعلها بمنزلة قوله: ﴿ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ ﴾[الأنعام: 94][62]

وقوله تعالى:﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ۝١٧ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ۝١٨ ﴾[الواقعة: ١٧-١٨] ثم قال:﴿ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۝٢٠ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ۝٢١ وَحُورٌ عِينٌ ۝٢٢ ﴾[الواقعة: ٢٠ – ٢٢] فخفض بعض القراء ورفع بعضهم الحور العين؛ قال الذين رفعوا: الحور العين لا يطاف بهن فرفعوا على معنى قولهم: وعندهم حور عين، أو مع ذلك حور عين فقيل: الفاكهة واللحم لا يطاف بهما إنما يطاف بالخمر وحدها- والله أعلم- ثم أتبع آخر الكلام أوله. وهو كثير في كلام العرب وأشعارهم،

---

[60] **المصدر نفسه**، ج 1، ص 428

[61] **المصدرنفسه**، ج2، ص325

[62] **المصدر نفسه**، ج2، ص 359

والكتاب أعرب وأقوى في الحجة من الشعر. وأما ما لا يحسن فيه الضمير لقلة اجتماعه، فقولك: قد أعتقت مباركا أمس وآخر اليوم يا هذا وأنت تريد: واشتريت آخر اليوم لأن هذا مختلف لا يعرف أنك أردت ابتعت. ولا يجوز أن تقول: ضربت فلانا وفلانا وأنت تريد بالآخر: وقتلت فلانا لأنه ليس هاهنا دليل. ففي هذين الوجهين ما تعرف به ما ورد عليك[63].

وفي قوله تعالى:﴿ فَأَجۡمِعُواْ كَيۡدَكُمۡ ﴾ [طه: 64]، يقول الفراء:" الإجماع: الإحكام والعزيمة على الشيء. تقول أجْمعت الخروج وعلى الخروج مثل أزمعت قال الشاعر:

يا ليْتَ شِعْري والمُنى لا تَنْفَعُ ... هلْ أغْدونْ يوْماً وأمري مُجْمَعُ[64]

يريد قد أحكم وعزم عليه. ومن قرأ (فاجمَعوا) يقول: لا تتركوا من كيدكم شيئا إلا جئتم به " [65].

وقوله:﴿ وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗا ﴾ [البقرة: 295] قرأها زيد بن ثابت كذلك، والانشاز نقلها إلى موضعها. وقرأها ابن عباس «ننشرها»؛ إنشارها: إحياؤها. واحتج بقوله:﴿ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ۝٢٢ ﴾[عبس: ٢٢] وقرأها الحسن- فيما بلغنا- (ننشرها) ذهب إلى النشر والطي. والوجه أن تقول: أنشر الله الموتى فنشروا إذا حيوا[66].

وهكذا نجد الفراء – رحمه الله- يذكر كل قراءة ثم يتبعها بالعنى المناسب لها،واختلاف المعنى في القراءات هو اختلاف تنوع وليس تضاد .مع استشهاده لماذهب إليه بالشعر أو بالرواية الحديثية أو غيرها من المرجحات[67].

ثامنًا: في تفسير ضمير الغائب وأثره على المعنى، نقف عند جملة من التمثيلات منها: قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ۝٣٤ ﴾[التوبة: 34] فقد ورد الضمير مفردًا مؤنثًا في قوله: " وَلَا يُنفِقُونَهَا" وقد تقدمة شيئان (الذهب والفضة) وفي ذلك يقول الفراء رحمه الله: "وقال:

---

[63]**المصدر نفسه**،ج 2، ص 14

[64] أنشد الرجز ابن الأعرابي. نسبه إليه العلوي، المظفر بن الفضل في **نضرة الإغريض في نصرة القريض** ، ص2 .

[65]الفراء، **معاني القرآن**،ج 2، ص 185.

[66]**المصدر نفسه**،ج 3، ص 141.

[67]انظر هذه المرجحات في ،بوحملة ، محمد نور الدين ، **الاحتجاج بالقراءات القرآنية في النحو عند الفراء معاني القرآن "من خلال كتابه"، ص 102–** 105.

﴿ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[التوبة: 34] ولم يقل: ينفقونهما. فإن شئت وجهت الذهب والفضة إلى الكنوز فكان توحيدها من ذلك. وإن شئت اكتفيت بذكر أحدهما من صاحبه كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا ﴾ [الجمعة: 11] فجعله للتجارة.

وقوله تعالى:﴿ وَمَن يَكۡسِبۡ خَطِيٓـَٔةً أَوۡ إِثۡمٗا ثُمَّ يَرۡمِ بِهِۦ بَرِيٓـٔٗا ﴾[النساء:112] فجعله للإثم.

وقوله تعالى:﴿ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ ﴾[التوبة: 62]، إن شئت جعلته من ذلك: مما اكتفى ببعضه من بعض، وإن شئت جعلت الله تبارك وتعالى في هذا الموضع ذكر لتعظيمه، والمعنى للرسولﷺ كما قال الله:

﴿ وَإِذۡ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَأَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِ أَمۡسِكۡ عَلَيۡكَ زَوۡجَكَ ﴾[الأحزاب: 37] ألا ترى أنك قد تقول لعبدك: قد أعتقك الله وأعتقتك، فبدأت بالله تبارك وتعالى تفويضا إليه وتعظيما له، وإنما يقصد قصد نفسه"[68].

وقوله تعالى:﴿ فَأَثَرۡنَ بِهِۦ نَقۡعٗا ۝٤ ﴾[العاديات: 4] يقول الفراء: والنقع: الغبار، ويقال: التراب. وقوله عز وجل: "بِهِ نَقْعاً"، يريد: بالوادي، ولم يذكره قبل ذلك، وهو جائز لأن الغبار لا يثار إلا من موضع وإن لم يذكر، وإذا عرف اسم الشيء كُني عنه وإن لم يجر له ذكر[69].

تاسعًا: وفي أثر الفصل والوصل على توجيه المعنى القرآني نجد قوله تعالى:

﴿ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ أَنجَىٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ ﴾ [إبراهيم: 6]، فقوله تعالى: "يُذَبِّحُونَ" وردت في هذه الآية بالواو المتصلة بما قبلها، بينما ذُكرت بدون الواو المنفصلة عما قبلها وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ۝٤٩ ﴾ [البقرة: 49]،وفي ذلك يقول الفراء: " فمعنى الواو أنهم يمسهم العذاب غير التذبيح كأنه قال: يعذبونكم بغير الذبح وبالذبح. ومعنى طرح الواو كأنه تفسير لصفات العذاب. وإذا كان الخبر من العذاب أو الثواب مجملا في كلمة ثم فسرته فاجعله بغير الواو. وإذا

---

[68] **المصدر نفسه**، ج 1، ص 434

[69] **المصدر نفسه** ،ج3 ،ص 285

كان أوله غير آخره فبالواو. فمن المجمل قول الله عز وجل: ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾[الفرقان: 68]؛ فالآثام فيه نية العذاب قليله وكثيره. ثم فسره بغير الواو فقال:﴿ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ ﴾[الفرقان: 69] ولو كان غير مجمل لم يكن ما ليس به تفسيرا له، ألا ترى أنك تقول: عندي دابتان بغل وبرذون، ولا يجوز: عندي دابتان وبغل وبرذون وأنت تريد تفسير الدابتين بالبغل والبرذون، ففي هذا كفاية عما نترك من ذلك فقس عليه"[70].

ومنه أيضًا قوله تعالى:

﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾ ﴾ [إبراهيم: 18]، وفي ذلك يقول الفراء: "أضاف المثل إليهم ثم قال: (أعمالهم كرماد اشتدت به الريح) والمثل للأعمال والعرب تفعل ذلك، وذلك عربي لأنهم يجدون المعنى في آخر الكلمة فلا يبالون ما وقع على الاسم المبتدأ، وقال: (في يوم عاصف) فجعل العصوف تابعا لليوم في إعرابه، وإنما العصوف للريح. وذلك جائز على جهتين، إحداهما أن العصوف وإن كان للريح فإن اليوم يوصف به لأن الريح فيه تكون، فجاز أن تقول يوم عاصف كما تقول: يوم بارد ويوم حار"[71].

عاشرًا: وفي أثر الناسخ والمنسوخ على توجيه المعنى القرآني نقف على قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾ ﴾[محمد: 17]،وفي هذه الآية يقول الفراء: "وقوله والذين اهتدوا زادهم هدى، "زادهم" استزادهم هدى، وآتاهم الله تقواهم، يقال: أثابهم ثواب تقواهم، ويقال: ألهمهم تقواهم، ويقال: آتاهم تقواهم، من المنسوخ إذا نزل الناسخ"[72].

وقوله تعالى:﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ ﴾ [البقرة: 184]، وفي هذه الآية يقول الفراء: "يقال: وعلى الذين يطيقون الصوم ولا يصومون أن يطعم مسكينا مكان كل يوم يفطره. ويقال: على الذين يطيقونه الفدية يريد الفداء. ثم نسخ هذا فقال تبارك وتعالى: وأن تصوموا خير لكم من الإطعام"[73].

---

[70] **المصدر نفسه**،ج 2،ص 96

[71] **المصدر نفسه**،ج2،ص 73

[72] **المصدر نفسه**، ج 3، ص 61

[73] **المصدر نفسه**،ج 1،ص 112

وقوله تعالى:﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُ ﴾[البقرة: 185] "دليل على نسخ الإطعام. يقول: من كان سالما ليس بمريض أو مقيما ليس بمسافر فليصم ومن كان مريضا أو على سفر قضى ذلك. يريد الله بكم اليسر في الإفطار في السفر ولا يريد بكم العسر الصوم فيه"[74].

الحادي عشر: وفي أثر أسباب النزول على توجيه المعنى القرآني نقف على قوله تعالى: ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ خَلَطُواْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَءَاخَرَ سَيِّئًا ﴾[التوبة: 102]، يقول الفراء: وقوله: (خلطوا عملا صالحا)، يقول: خرجوا إلى بدر فشهدوها. ويقال: العمل الصالح توبتهم من تخلفهم عن غزوة تبوك. وآخر سيئا: تخلفهم يوم تبوك. (عسى الله) عسى من الله واجب إن شاء الله. وكان هؤلاء قد أوثقوا أنفسهم بسواري المسجد، وحلفوا ألا يفارقوا ذلك حتى تنزل توبتهم، فلما نزلت قالوا: يا رسول الله خذ أموالنا شكرا لتوبتنا، فقال: لا أفعل حتى ينزل بذلك عليّ قرآن. فأنزل الله عز وجل: قوله: (خذ من أموالهم صدقة)، فأخذ بعضا. ثم قال: (تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم): استغفر لهم فإن استغفارك لهم تسكن إليه قلوبهم، وتطمئن بأن قد تاب الله عليهم[75].

وفي مثال آخر نجد الفراء رحمه الله يبني المعنى على سبب النزول وذلك في **قوله تعالى:** ﴿ ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ ﴾[الدخان:٤٩] فيقول:" (ذق أنك) بفتح الألف. والمعنى في فتحها: ذق بهذا القول الذي قلته في الدنيا، ومن كسر حكى قوله، وذلك أن أبا جهل لقى النبي ﷺ قال: فأخذه النبي ﷺ فهزه، ثم قال له: أولى لك يا أبا جهل أولى ؛فأنزلها الله كما قالها النبي ﷺ ،ورد عليه أبو جهل، فقال: والله ما تقدر أنت ولا ربك علي، إني لأكرم أهل الوادي على قومه، وأعزهم فنزلت كما قالها. قال: فمعناه- فيما نرى والله أعلم-: إنه توبيخ؛ أي ذق فإنك كريم كما زعمت ولست كذلك "[76].

فالفراء -رحمه الله – نراه هنا يذكر سبب نزول الآية ثم يوجه المعنى في الآية ويرجحه لتوافقه مع سبب النزول .

---

[74] **المصدر نفسه**،ج1، ص 113

[75] **المصدرنفسه**، ج1، ص450- 451. قال الطبري في تفسيره،ج14 ،ص 453:" وأولى هذه الأقوال بالصواب في ذلك، قولُ من قال: نزلت هذه الآية في المعترفين بخطأ فعلهم في تخلفهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتركهم الجهادَ معه، والخروجَ لغزو الروم، حين شخص إلى تبوك = وأن الذين نزل ذلك فيهم جماعة، أحدهم أبو لبابة".

[76] الفراء، **معاني القرآن**، ج3، ص 42-43

والأمثلة كثيرة تلك التي تبين عن براعة الفراء في توجيه معاني الآيات بحسب مافيها من أنواع علوم القرآن وبحسب لغة العرب غير أن المقام لايتسع لحصر جميع المواضع ،وفيما ذكر إن شاء الله كفاية في بيان هدف البحث ومقصوده.

الخاتمة

وصلت إلى ختام هذا البحث بحمد الله وقد خلصت فيه إلى جملة من النتائج أهمها:

- أن لعلوم القرآن أثرا كبيرا في توضيح القرآن ، واستجلاء معانيه، واستظهار المراد من خطاب الله سبحانه وتعالى، واستنباط الأحكام الشرعية خصوصًا، حيث يتوخى منها معرفة صيانة الكتاب العزيز عن التحريف والتغيير، وما لذلك من الارتباط الوثيق بالتفسير.
- أن اللفظة القرآنية تتميز بخصوصية يفتقر إليها كلام الناس وتعبيراتهم مهما بلغت حظا من البلاغة والبيان، فهي تتناول سائر صور المعنى وخصائصه، ولا تقف عند العموميات التي تقف عند حدودها تعبيرات البشر وتمتاز كذلك عن سائر المرادفات اللغوية بتمام التطابق مع المعنى المراد.
- أن الفراء أبان عن براعة كبيرة في توجيه المعنى بحسب مافيها من أنواع علوم القرآن وبحسب لغة العرب.
- كان الفراء بحرا في اللغة، وبالطب خبيرا وكذلك بأيام العرب والشعر والنجوم؛ ومن هنا كانت له يد طولى في المحافظة على العربية ،واستعمالها لتوجيه معاني آيات القرآن بل وتقعيد القواعد لها من آيات الكتاب.

ومن **مقترحات البحث**، ضرورة دعوة أهل العلم والتخصص في العلوم اللغوية وعلوم القرآن إلى الاهتمام والعناية بالجوانب اللغوية للقرآن ، وتدبر وتوجيه معانيه وربط ذلك بعلومه ، عن طريق الحرص والتشجيع على خوض غمار البحوث اللغوية التي تعنى بعلوم القرآن لربط علوم اللغة العربية بعلوم التفسير والقراءات القرآنية، وحتى يتسنى للطالب والباحث والمهتم تذوق الاستعمال السليم لمفردات العربية وبيان دلالات معانيها وبديع تراكيبها.

ثبت المصادر والمراجع

- أحمد، لقمان فتاح،"**تنوع المعاني إثر انتقاء اللفظ القرآني في سورة الكهف**"، *مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع*- كلية الإمارات للعلوم التربوية، العدد 16، (2017م).
- آل إسماعيل، نبيل بن محمد، "**العناية بالقرآن الكريم وعلومه من بداية القرن الرابع الهجري إلى عصرنا الحاضر**". (ط1، المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف،2003م).
- الأنباري، أبو البركات. "**نزهة الألباء في طبقات الأدباء**". تحقيق: إبراهيم السامرائي، (ط3، الأردن: مكتبة المنار للنشر والتوزيع، 1985م).
- الأنصاري، عمر بن عطية الله بن عبد الكريم،" **أثر التشبيه على المعنى في القرآن الكريم**"، *مجلة مركز البحوث والدراسات الإسلامية*، كلية دار العلوم – جامعة القاهرة، العدد 27، مجلد 8، (2012م).
- البغا، مصطفى ديب، " **الواضح في علوم القرآن**". تحقيق: محيي الدين ديب مستو، (ط2، دمشق: دار الكلم الطيب / دار العلوم الإنسانية،1998م).
- التنوخي، أبو المحاسن، "**تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم**". تحقيق: الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو، (ط2، القاهرة: هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان،1992م).
- الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن،" **دلائل الإعجاز في علم المعاني**". تحقيق: ياسين الأيوبي، (ط1، القاهرة: المكتبة العصرية- الدار النموذجية).
- ابن جني، أبو الفتح عثمان الموصلي،" **الخصائص**". (ط4، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب).
- الحلبي، نور الدين محمد عتر ،" **علوم القرآن الكريم**". (ط1، دمشق: مطبعة الصباح،1993م).
- الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت، "**معجم الأدباء: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**". تحقيق: إحسان عباس، (ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي،1993م).
- أبوحيان التوحيدي، علي بن محمد بن العباس، "**البصائر والذخائر**". المحقق: د/ وداد القاضي، (ط1، بيروت: دار صادر للطباعة والنشر،1988م).

- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين، "**وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**". تحقيق: إحسان عباس، (ط1، لبنان: دار صادر للطباعة والنشر،1900م).
- الدسوقي، محمد عبد العليم، "**أثر الابتداء بحروف المعاني والوقف عليها في بلاغة المعنى القرآني واتساعه**"، *مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية*، العدد 2، مجلد 2، (2007م).
- الذهبي، شمس الدين بن قايماز،"**سير أعلام النبلاء**". (ط1، القاهرة: دار الحديث للنشر والتوزيع،2006م).
- الرازي، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، "**الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها**". (ط1، بيروت: محمد علي بيضون،1997م)
- الرومي، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان، "**دراسات في علوم القرآن الكريم**". (ط12: حقوق الطبع محفوظة للمؤلف،2003م).
- الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر،" **البرهان في علوم القرآن**". تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (ط1، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه،1957م).
- السامرائي، فاضل صالح، "**معاني النحو**". (ط1، الأردن: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.،2000م).
- السخاوي، علي بن محمد بن عبد الصمد الهمداني، "**جمال القراء وكمال الإقراء**". تحقيق: عبد الحق عبد الدايم سيف القاضي،(ط1، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية.1999م).
- الشجيري، هادي أحمد فرحان، "**الإعراب وأثره في توسيع المعنى: دراسة تطبيقية على آيات من القرآن الكريم السياقية**"، *مجلة العلوم الإنسانية*، كلية الآداب –جامعة البحرين، العدد 31، (2018م).
- ابن طبال، نعيمة، "**التوجيه الصرفي وأثره في المعنى**"، رسالة ماجستير، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، كلية الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح، (2018م).
- الطيار، مساعد بن سليمان بن ناصر، "**المحرر في علوم القرآن**". (ط2، الرياض: مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، 2008م)

- العمر، أحمد خطاب (1988). "**الفراء والدراسات القرآنية: تقويم كتاب معاني القرآن للفراء**"، *مجلة المورد، وزارة الثقافة والاعلام* – دائرة الشؤون الثقافية، مجلد17، (العدد 4).
- الغرابي، جاسم محمد؛ الخفاجي، حسن كاظم،" **القراءات القرآنية وأثرها في توجيه المعنى التفسيري لآيات الأحكام: آية الوضوء أنموذجاً**"، *مجلة أبحاث ميسان* – جامعة ميسان، العدد 16، (2014م)
- الفراء، يحيى بن زياد، "**معاني القرآن**". تحقيق: أحمد يوسف ومحمد النجار وعبد الفتاح الشلبي، (ط1، القاهرة: دار الكتب المصرية للتأليف والترجمة،1955م).
- القفطي، جمال الدين أبو الحسن،" **إنباه الرواة على أنباه النحاة**". تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، (ط1، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية للطباعة والنشر، 1982م).
- الناصري، غانم هاني كزار،" **تجاذب المعنى والصناعة النحوية في القرآن الكريم**"، *مجلة العلوم الإنسانية* – جامعة بابل العدد 2، مجلد 24، (2017م).